باب الهدايا والتقاريظ

كتاب الطائر البريد في وصف البريد

وقفنا على هذا الكتاب وطالعنا فصولاً كثيرة منهُ فالفيناهُ منسقًا تنسيقًا حسنًا جامعًا لفوائد شتى يعزُّ وجودها في مئات من الكتب. لا يقلب المطالع منهُ صفحة الا ويعثر على فائدة جديدة وقد نقلنا عنهُ الفقرتين التاليتين عن حمام الزاجل وتاريخ البريد مثالاً على بافيهِ — الفقرة الاولى

" كان التراسل بالحمام في عهد السلطان نور الدين على نسق البريد الاعتيادي بنوع مستوفى النظام من مراكز ومستخدمين فشيد لهُ ابراجًا خصوصية واقام لها نظارًا وحراسًا يراقبون وصول الحمام نهارًا وليلاً فكان كل برج يبعد عن الآخر اثني عشر ميلاً وعند حدوث امر ذي بال كان يعلق الخبر بعنق حمامة او يجعل ضمن قارورة صغيرة من الورق الذهبي وهو من ذهب خالص بلغ الغاية في الرقة والخفة . وذلك لتكون مع خفتها على الحمامة حافظة للرسالة من تأثير العوارض الجوية وكانوا يضعون ضمن القارورة رسالة من الورق الرقيق يسمونهُ ورق البطاق ثم يوضعون على ظهر الرسالة وقت سفر الحمامة بالتدقيق التام وبعد قليل يطلقون حمامة أخرى حاملة الخبر ننسهُ على النمط المذكور خوفًا من ضياعهِ . وكان حارس كل مركز حال وصول الحمامة الى البرج يقيد ساعة وصولها اليهِ وذهابها منهُ وذلك على ظهر الرسالة التي تحملها الحمامة

ومن ضمن اتقان هذا البريد الجوي انهُ كان لحمامهِ علامات يعرف بها تشبيهًا برسل البريد البري وهذه العلامات من نقش لطيف وهو اسم السلطان على منقار الحمامة ونمرتها على رجليها وكان فك الرسائل من عنق الحمامة مفوضًا الى رئيس الحرس دون غيرهِ وكان الحراس يراقبون الجو على الدوام بالتناوب ليلاً ونهارًا خوفًا من ان يمرَّ عليهم الحمام وهم عنهُ غافلون

وكانت مراكز الحمام التي رتبها السلطان نور الدين كثيرة جدًّا وهي بالخط فخط الآتية

اولاً بين الاسكندرية والقاهرة . ثانيًا بين القاهرة ودمياط ثالثًا بين القاهرة والصفين . رابعًا بين القاهرة ودمشق الشام عن طريق غزة والقدس . خامسًا بين دمشق وبرتة على الفرات . سادسًا بين برتة وقيسرية . سابعًا بين حلب والرحبة على الفرات . ثامنًا بين دمشق

وبيروت وطرابلس الشام . تاسعًا بين دمشق وبعلبك . عاشرًا بين غزة والكرك على البحر الميت

وكان في محطات هذه الخطوط نحو سبعة آلاف حمامة وفي كل محطة عدد كاف من الحمام حتّى ترسل الرسائل الى المحطة التالية في حال وصولها وهكذا حتّى تصل الى المحل المقصود بحيث يكون سفر الحمامة بين محطتين فقط وكان في كل محطة عدد كافٍ من المستخدمين لمناظرة الحمام وخدمته ونقل الرسائل من حمام لآخر وتوزيع الحمام عند تكاثره في المحطة وغير ذلك

الفقرة الثانية — "للبريد في عالم التاريخ نسب في الشرق كغيره من الامور العظيمة ومع شهرته الفائقة قد اختلفت التواريخ في تعيين بلاد نشأته وسلطان منشئه اختلافها في كل موضوع ولا عجب فتلك سنّة المؤرخين توصلهم اليه الابحاث العميقة التي لولاها ما وصلوا الى محجة الحقيقة

وقد زاد تاريخ البريد تلونًا وغموضًا عن سواه بتشابه طريقة الفانوني منه بغيره وجهل الاقدمين قدره حتّى اهمل مؤرخوهم اعطاءه حقه كغيره من البحث والشرح الذي كان تمهيدًا وتوطئةً لمن بعدهم

وعلى ذلك لم يبقَ امامنا واسطة للوقوف على الحقيقة الاّ الاستدلال من اقوال التواريخ الاكثر شهرةً ومطابقة لغيرها

فمما يؤخذ من عبارات ديودورس المؤرخ ان البريد كان مرتبًا عند الاشوريين والبابليين منذ القرن الثامن قبل المسيح ومن غيرها من التواريخ القديمة ان ديجوسيس لما تملك على الماديين رتب البريد في القرن السابع ق م

وكان ذلك من ضمن حذقه واجتهاده في ادخال الاصلاح والتمدن للبلاد يستميل قلوب الشعوب اليه بواسطة ترتيب امور لم يذوقوا لذة فائدتها من قبل على ان التواريخ الاكثر تداولاً مثل كتب هيرودتس وغيرها التي تعضدها ذات شواهد التوراة تثبت ان اول من رتبه داره (داريوس) مؤسس دولة الفرس في القرن الخامس ق م

واما ما خالف ذلك من الاقوال التاريخية فلا يبعد ان يكون المقصود من عباراتها عن البريد الرسل التي كانت مرتبة لمراسلات الملوك الخصوصية وهو الاقرب الى الصحة لان طريقة التراسل قديمة جدًا لا يمكن تحديد زمن ابتدائها

واقدم ما وصلنا من اخبارها انها كانت موجودة في الصين في القرن العاشر ق م وكل

هذه الطرق لا تعد بريدًا قانونيًا

اما من نسب اول ترتيب البريد لكسرى انوشروان وغيره في القرون الاولى من التاريخ المسيحي فقد ضلّ سبيلاً

ومن كل هذه الابحاث يتضح ارجحية القول في نسبة ترتيب البريد القانوني الى داريوس كما ذكر لانهُ فضلاً عما يعضد ذلك من عبارات الكتب الكثيرة قد يسندهُ ايضًا بقاء اسمهِ الفارسي المتداول بين العالم الى الآن نسبة الى دوابّهِ المخصوصة كما شرحنا عن اسم البريد من اول وصفهِ

وعليهِ يكون البريد قد ترتب منذ اكثر من ٢٤٠٠ سنة وهذه القرون العديدة قد جعلت البريد بحسب اقدم مصالح العالم كما اصبح الآن اشهرها"

فنثني على حضرة مؤلفهِ الاديب نعمان افندي انطون اطيب ثناء ونتمنى ان يقبل الجمهور على هذا الكتاب النفيس لاحراز فوائدهِ وتنشيط مؤلفهِ

الفوائد الادبيّة

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس وهو قاموس فرنسوي معجم باللغة العربية وقد توخى فيهِ حضرة مؤلفهِ الشيخ يوسف يعقوب حبيش جمع كثير من الكلمات الاصطلاحية المتعلقة بالطب والتاريخ الطبيعي والصناعة والزراعة وهو مطلب صعب الكنهِ لان الكلمات الاصطلاحية في اللغات الاوربيّة تعدّ بعشرات الالوف ففي القاموس الانكليزي الجديد المسمّى بقاموس العصر سبعة آلاف صفحة وفيهِ اكثر من سبعين الف كلمة لا وجود لها في قاموس آخر قبلهُ واكثر هذه الكلمات اصطلاحي والارجح ان في اللغة الفرنسويّة لا اقل من مئة الف كلمة اصطلاحية فلو اريد تعريبها كلها فقط للزمها كتاب اكبر من هذا الكتاب بثلاثة اضعاف. اما هذا الكتاب فقد حوى جانبًا كبيرًا من الكلمات الاصطلاحية المتداولة في الكتب العلمية والصناعية مع بقية كلمات اللغة الفرنسوية المتداولة وقد طبع بحرف واضح جدًّا بالفرنسوية والعربية. فنشكر لحضرة مؤلفهِ على اعتنائهِ بجمعهِ وضبطهِ ونتمنى ان يقبل الطلاب عليهِ

وثمن الجزئين معًا مئة غرش اميريّة وللمدارس اقل من ذلك